

كشف الحقائق في البيعة لعلي الرضا للكوثر محمد ضيف الله بطاينه (جامعة اليرموك / الأردن)

... جعل هارون الرشيد الخلافة من بعده في ولده، ورتبها فيهم
بترتيب البيعة لهم، فعقدوها أولا لمحمد الأمين، ثم عقدها لعبد الله المأمون، ثم
عقدوها للقاسم المؤتمن، فقال بعض الناس: أحكم الرشيد أمر الملك، وقال
بعضهم بل القى بأسهم بينهم (١) .

ولما أدركت المنية هارون الرشيد، نودي بالأمين خليفة للمسلمين،
فبايعوه وبايعه أخوته، وبايعه المأمون الذي كانت إليه أمور خراسان منذ
خلافة والده . إلا أن أيام الصفاء بين الأمين والمأمون لم تدم، واخذت حاشية
كل منهما تزين لصاحبها الكيد لأخيه، وأسفرت المحاولات التي كانت
ترمي إلى الإتياع بينهما إلى إعلان الأمين عقد البيعة بالخلافة
لولده من بعده ، والغاء عقد بيعة أخيه المأمون، وصدق طبول الحرب بينهما ؛
ثم اعلان خلع الأمين والدعوة للمأمون بالخلافة في خراسان (٢)، وهاجت
الحرب بين الأخوين، وسيقت الجيوش إلى ميادين القتال تباعا، ثم قتل الأمين،
وخلّص الملك سنة ١٩٨ هـ للمأمون، ومضى يصرف أمور الدولة من مرو،
حاضرة خراسان، وترك بغداد وغيرها من البلدان إلى نظر الحسن بن سهل

١ - أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٢٧٥ - ٢٧٦ . تحقيق محمد أبو
الفضل ، ١٩٦٦ .

٢ - المصدر نفسه ص ٤٠٤ - ٤١١ .

أخي وزيره ومدبر أمره في خلافه مع الأمين ، الفضل بن سهل .

لم تهدأ الأحوال بعد مقتل محمد الأمين، وظلّت الفوضى قائمة وثورات السخط والغضب تتفجر من بلد الى بلد، ثم حملت الأخبار قرار المأمون بجعل علي بن موسى ابن جعفر العلوي وليّ عهد المسلمين والخليفة من بعده ، وتسميته الرضا من آل محمد، ومطالبة الجند بطرح السواد ولبس ثياب الخضرة. ثم وردت الكتب بذلك الى الآفاق، وطلب الى الولاة ان يأخذوا البيعة له على الناس، وأن يدعوا له على المنابر بعد الخليفة المأمون (٣) . فلما كان ذلك ، أتى بني العباس ما كان يحذرون .

فلماذا أراد المأمون أن ينقل الخلافة من بني العباس بن عبد المطلب الى بني علي بن أبي طالب ؟

وهل كان المأمون جاداً في قراره ؟

كانت هذه المبادرة لا مثيل لها في تاريخ العلاقات العباسية العلوية من قبل. وقد سبق المأمون إليها غيره ممن تقدم عليه من خلفاء بني العباس. ويقول ابن الطقطقي بخصوص ذلك (٤) : « ومن اختراعاته — يعني المأمون — نقل الدولة من بني العباس الى بني علي، عليه السلام » .

تناولت الأخبار التاريخية « اختراع المأمون » بالتفصيل ، وقدّمست ما رآته من الدوافع التي أدت الى اتخاذه، وجعلت المأمون يُقدّم عليه . وسنتناول هذه الأخبار على النحو التالي :

أولاً : الأخبار التي تذكر أن سبب بيعته المأمون لعلي بن موسى يعود

٢ — أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٥٤ ، الكندي / ولاة مصر ص ١٦٨ .
تحقيق حسين نصار ١٩٥٩ ، ابن المبراني / الإنباء في تاريخ الخلفاء ص ٩٨ . تحقيق
قاسم السامرائي، لايدن ١٩٧٢ م .

٤ — ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٨ طبعة القاهرة ١٩٢٢ .

الى تقوى عليّ وعلمه وورعه وفضله على آل عليّ وآل العباس سواء .

قال أبو جعفر الطبري : « وذلك انه — يعني المأمون — نظر في بني العباس وبني علي ، فلم يجد احدا افضل ولا أورع ولا أعلم منه » . (٥)

وقال المسعودي : « ... إنه نظر في وُلد العباس ووُلد علي ، رضي الله عنهم ، فلم يجد في وقته احدا هو افضل ولا أحق بالامر من علي بن موسى الرضا ، فبايع له بولاية العهد » (٦) .

وجاء في أخبار مسكويه : « نظر المأمون في بني العباس وبني علي فلم يجد احدا افضل ولا أورع ولا أعلم من علي الرضا ، فوله عهده وسمّاه الرضا من آل محمد » (٧) .

ويبدو أن تعيين علي الرضا وليا للعهد لعلمه وورعه وتقدمه في الفضل على بني علي وبني العباس غير مقبول ، إذ يبدو أن هذه الاخبار تحمل في ثناياها دعاوى امامية قد لا يكون المأمون مؤمنا بها ، ولا ندري كيف وقع للمأمون أن علي بن موسى افضل هؤلاء . وقد شك ابن الطقطقي (٨) في اختيار المأمون لعلي بن موسى وليا للعهد لصالح علي ، فقال : « إن المأمون قد فُكّر في حال الخلافة بعده ، وأراد أن يجعلها في رجل يصلح لها لتبراً ذمته ، كذا زعم » .

وقال القمي : لم يكن — يعني المأمون — يرمي الى أن يتم العهد

٥ — أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٥٤ .

٦ — المسعودي / مروج الذهب ج ٤ ص ٢٨ . الطبعة الثالثة ، القاهرة ١٩٥٨ .

٧ — مسكويه / تجارب الامم ص ٤٢٦ . مجلد مطبوع ملحق بكتاب العيون والحدائق مكتبة المتن — بغداد .

٨ — ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٨ .

ثانيا : الاخبار التي تذكر ان سبب بيعة المأمون لعلي بن موسى يعود الى وفاء المأمون بالنذر الذي نذره على نفسه إن انتصر على أخيه الامين .

قال الاصفهاني : « قال المأمون : اني عاهدت الله ان اخرجها الى افضل آل ابي طالب إن ظفرت بالخلوع، وما أعلم أحدا افضل من هذا الرجل » . (١٠)

وساق القمي حديثا طويلا مفاده: ان المأمون عيّن علي بن موسى خنيفة من بعده وفاء لما عاهد الله عليه إن نصره على أخيه الامين، وافضت الخلافة اليه، أن يضعها في موضعها الذي وضعه الله تعالى، فلما تم الامر للمأمون، لم ير أحدا احق بالخلافة من ابي الحسن علي الرضا (١١) .

وتبدو بوضوح ، من خلال ربط النصر بالنذر، ميول رواة الخبر الشيعية؛ وهذا مما لا يقوم به سبب مقنع في اختيار المأمون عليا لولاية العهد وجعل مصر الخلافة محكوما بالنذور .

ثالثا : ذكر القفطي (١٢) في اخبار الحكماء ان المأمون لما رأى آل علي بن ابي طالب متخشين متخفين من خوف ابي جعفر المنصور ومن جاء بعده من الخلفاء من بني العباس، ورأى العوام قد خفيت عنهم امور العلويين بالاختفاء، فظنوا بهم ما يظنون بالانبياء ويتقوهون في صفتهم ما يخرجهم عن الشريعة من التغالي، فأراد معاقبة العامة على هذا الفعل، ثم فكر انه اذا

٩ - محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٦ . مخطوط - دار الكتب القاهرة رقم ٢٢١٢ .

١٠ - الاصفهاني / مقاتل الطالبين ص ٥٦٢ طبعة القاهرة ١٩٤٩ .

١١ - محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٨ ، ١٨١ مخطوط .

١٢ - القفطي / اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٤٩ - ١٥٠ ، دار الكتب الخديوية / القاهرة - الطبعة الاولى .

فعل هذا بالعوام زادهم اغراء به، فنظر في هذا الامر نظرا دقيقا، ورأى ان يقدم احد العلويين للحكم ويظهرهم للناس، فيرى الناس فسق الفاسق منهم وظلم الظالم، فيتحقق للعوام حالهم وما هم عليه مما خفي بالاختفاء، فيسقطوا من أعين الناس وينقلب شكر الناس لهم ذمًا .

وأورد القمي خبرا شبيها بالذي أورده القفطي ، قال القمي : « إن المأمون جعل لعلي بن موسى ولاية العهد من بعده . . ليرى الناس رغبته في الدنيا فيسقط محلّه من نفوسهم » (١٣) .

وقد يكون ما أورده القمي والقفطي سببا لقصة البيعة لعلي بن موسى، لا يعدو أن يكون تفسيرا منهما لقضية البيعة، وإلا فإن علي بن موسى لم يكن إماما لكل العلويين (١٤) وإنما كان إماما لفئة منهم، وعندما قامت ثورات العلويين في البصرة والكوفة والمدينة ومكة واليمن (١٥)، لم تختصر واحدة من هذه الثورات عليًا رئيسا لها، وإنما اختارت غيره، وإذا كان المأمون أراد بفعلته أن يفضح العلويين المتخفين ويكشفهم أمام المخدوعين بهم ويمزق أستار القداسة المضروبة عليهم، فإن المأمون يكون قد فاتته هذا الغرض، لأن الناس خبروا الذين ثاروا من العلويين وصارت اليهم مقاليد الامور، وعرفوا ما كان منهم من خير أو شر ، واضافة الى ذلك فقد قيل في علي بن موسى إنه لم يكن له من أمور الحكم شيء .

رابعا : قيل إن المأمون كان يتشيع للعلويين، وقد حمله افراطه في التشيع على مبايعة علي بن موسى بولاية العهد .

١٣ - محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٢٢٠ مخطوط .

١٤ - انظر محمد بن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٨ ، ٩ . مخطوط .

الحسن النويختي / فرق الشيعة ص ٦٧ طبعة استانبول ١٩٣١ م .

سعد القمي ، المقالات والفرق ص ٨٩ . طبعة طهران ١٩٦٣ .

١٥ - ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٢٨ - ٥٤٤ .

قال القمي : « قال المأمون اندرون من علمني التشيع ... علمنيه
الرشيد » قيل له، وكيف ذلك والرشيد كان يقتل أهل هذا البيت؟ قال كان
يقتلهم على الملك لأن الملك عقيم » . (١٦)

وذهب الى ذلك السيوطي قال : « وجعل — المأمون — ولي العهد
من بعده علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق ، حمله على ذلك
أمراته في التشيع، حتى قيل إنه هم أن يخلع نفسه ويفوض الأمر
اليه » . (١٧)

وبخصوص هذا التشيع الذي رمي به المأمون، نبيدو ظاهره المتمثل
بالبيعة لعلي بن موسى متهوما ومتهوما باطنه كذلك ، لما روي عن علي بن
موسى أنه كان يحدث أصحابه الذين يثق بهم عن المأمون وأحاديثه في إمامة
علي بن أبي طالب وتفضيله عن سواه، ويقول لهم : « لا تفتروا منه بقوله،
فما يعتلي والله غيره » (١٨)

ويحدثنا ابن عبد ربه عن المأمون أنه سأل علي الرضا عن سبب
دعواهم أمر الخلافة، فلما أجاب علي أن ذلك كان بقرابة علي بن أبي طالب
وفاطمة من الرسول عليه السلام، قال المأمون :

« إن لم يكن هاهنا إلا القرابة فقد خلف رسول الله من أهل بيته
من كان أقرب اليه من علي أو من في مثل تعدده — نسبه — وإن كان بقرابة
فاطمة من الرسول، فإن الحق بعد فاطمة للحسن والحسين، وليس لعلي في
هذا الأمر حق وهما حيّان ؛ فإذا كان الأمر كذلك، فإن عليا قد ابتزهما حقهما
وهما صحيحان، واستولى على ما لا يجب عليه » (١٩)

١٦ — القمي / عيون أخبار الرضا ص ٢٤ مخطوط .

١٧ — السيوطي / تاريخ الخلفاء ص ٣٠٧ . الطبعة الأولى ١٩٥٢ م تحقيق محمد محيي الدين .

١٨ — القمي / عيون أخبار الرضا ص ١٩٦ مخطوط .

١٩ — ابن عبد ربه / العقد المفرد ج ٢ ص ٣٨٥ . الطبعة الثانية ١٩٥٦ م .

وهذا دليل ، ان صحت هذه الروايات ، على ان المأمون لم يصدر فيها
اتخذة عن نفس مطمئنة بالتشيع للعلويين .

واضافة الى ذلك فان القفطي يذكر ان المأمون كان ينوي بعد قضاء
غرضه من البيعة لعلي بن موسى ان يرد الأمر الى حالته الاولى . (٢٠)
يتضح مما سبق ان المأمون لم يكن جادا في البيعة لعلي بن موسى
واتمامها له ، وانما يبدو ان في الأمر لسرا ، وان البيعة لا تخلو من غرض ، وقد
يجلبها لنا تتبع الاحوال العامة التي واكبت حادثة البيعة ، والخاتمة التي
انتهت اليها .

اما فيما يتعلق بالاحوال العامة فلا يمكن إغفال الخلاف الذي دار بين
الامين والمأمون ، والاطراف التي شاركت فيه وصنعتة رغبة منها بالسلطان
والاستبداد به وتعزيز تسلطها والانفراد به ؛ وقد صار قتل الامين وقيام
المأمون بأمر الخلافة انتصارا ضمنيًا للاتجاه الذي كان يقف وراء المأمون ،
ويتستر به ، ويقف الفضل بن سهل واعوانه على رأسه ، وهزيمة للاتجاه
الثاني الذي كان يقف وراء الامين ويرأسه الفضل ابن الربيع .

إلا ان بقاء المأمون في مرو ، حاضرة خراسان ، بعيدا عن بغداد دار خلافة
آبائه ، اعطى من حوله مركزا افضل ، وعزز موقعهم في الدولة ، وصار لهم
القول والفصل في امور الدولة ومصالح الناس ، وغاز الفضل بن سهل
بالنصيب الاوفى من ذلك ، فصارت اليه الرياستان — الحرب والتدبير — وله
مرتبة من يقول فيسمع منه . (٢١)

كان ذلك تعديا على سلطان الخليفة المأمون ، مارسه هؤلاء من خلال
الذالة التي اوجبوها على المأمون ، الذي يقيم في خراسان بين انصاره —

٢٠ — القفطي / اخبار العلماء باخبار الحكماء ص ١٥٠ .

٢١ — الجهنياري / الوزراء والكتاب ص ٢٠٥ — ٢٠٦ الطبعة الاولى ١٩٣٨ مكتبة البابسي
الحلبي / القاهرة .

أخواله الذين ساقوا اليه الخلافة بتدبير عقولهم وحدّ سيوفهم ، وقدضخمت
الدعاية والاعلام مدى ما وصل اليه هؤلاء من النفوذ،حتى قيل إن المأمون
وقع تحت نفوذ الفضل بن سهل،وإن الفضل قد استولى عليه (٢٢) وصار
ما يلزم من أمر ويتخذ من قرار تنسبه الأوساط العامة والخاصة في بغداد
غالبا الى الفضل بن سهل ،وقد يكون من هذا القبيل ما تُسبب الى الفضل
ابن سهل من شعر يذكر فيه فضل أهل خراسان على المأمون ونصرتهم
له في سوق الملك اليه،قال : (٢٣)

ان مأمون هاشم أصله مك عة منها آباؤه وجدوده
غير أنا نحن الذين غدونا ه بماء الملا فأورد عوده
من خراسان اتبع الأمر فيهم وتوثقت للناظرين بروده
قد نصرنا المأمون حتى حوى الملك ففينا طريفه وتليده
مثلنا لا يراه ما برق الصب ح وشقّ الظلام منه عوده
ويبدو أن هذا الشعر قيل على لسان الفضل لاثارة الشك في نفس
المأمون،وتحريضه على من حوله واستعدائه على وضعه بخراسان .
وإذا أضفنا الى تسلط أعوان المأمون من خلال الدالة عليه ، صدى
قتل الأمين واستنكار أهل بغداد ، بخاصة ، ذلك ، وتوجيه اللوم الى
المأمون (٢٤) ، تبين لنا مقدار الضيق والعنت الذي كان يواجهه المأمون في
إقامته بمرور .

٢٢ - ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٩ - ٢٠٠ ، ابن بابويه القمي / عيون أخبار الرضا
ص ١٧٥ ، ١٨٥ مخطوط .

٢٣ - المرزباني / معجم الشعراء ص ١٨٢ .

٢٤ - ذكر الجهشيارى أن الفضل بن سهل قال لما قتل طاهر بن الحسن الخليفة الأمين : ما
فعل بنا طاهر ؟ سأل علينا سيوف الناس والسنة . انظر : الجهشيارى / الوزراء
والكتاب ص ٢٠٤ .

ثم استغل العلويون الفرصة، واشعلوا الثورات في المدن المختلفة من العراق والحجاز واليمن ؛ كذلك واصل الاتجاه المعارض للمأمون والذي كان مؤيدا للأمين، نشاطه وتجرا من اختفى من رجاله، مثل الفضل بن الربيع أيام قتل الأمين على الظهور والانضمام الى صف المعارضة، وتحذوا الحسن ابن سهل، ممثل المأمون في بغداد، ووقعت الحرب بين الجانبين. وقد تمكنت المعارضة في فترة تالية من طرد الحسن وطرد عماله . (٢٥)

فما عسى المأمون يفعل ازاء ما كان يجري حتى يعيد للخلافة قوتها ونفوذها، وتصبح قادرة على مباشرة صلاحياتها، وكفّ الاعتداء على سلطانها ؟

تذكر الاخبار ان المأمون في غمرة الاحداث الجارية انفذ من خراسان رجلين من اهل ثقته، هما رجاء بن ابي الضحاك وفرناس الخادم، وأمرهما ان يأتيا المدينة المنورة، ويحضرا علي بن موسى بن جعفر ؛ فلما حضراه ، عقد المأمون البيعة بالمعهد له (٢٦) ، واعلن ذلك في الآفاق .

ويبدو من صدور قرار المأمون في الظروف الآتفة الذكر ما لا يدع مجالا للشك في ارتباط هذا القرار بما كان يجري من حول المأمون، وعلاقته بالموقف السياسي آنذاك . لذلك سنتابع التطورات التي طرات بعد اعلان البيعة لعلي بن موسى، لما لها من دور ايجابي يُعَيَّن على توضيح غرض المأمون ومغزاه من البيعة لعلي، وسنتناول في مجرى التطورات موقف الفضل بن سهل واهل بغداد، باعتبارهما يمثلان اتجاهين رئيسيين متعارضين في الخلاف

٢٥ - ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٤٨ .

٢٦ - اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٤٨ ، دار صادر بيروت ١٩٦٠ .

ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٤٤ .

ابن المبرق / الانباء في تاريخ الخلفاء ص ٩٨ .

ابن الاثير / الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٨٢ . المكتبة التجارية / القاهرة ١٣٥٧ هـ .

تحقيق عبد الوهاب التاجر .

ومما يلفت النظر أن مقرّ الخلافة ، وأين يكون ، كان واحداً من أبرز مسائل الخلاف بين الاتجاهين، وإعطاء كل جانب أهمية كبيرة في اتجاه تقرير مصير الخلاف . ويبدو أن الفضل بن سهل رأى أول الأمر أن البيعة لعلّي ابن موسى تخدم غرضه في بقاء المأمون في مرو بعيداً عن بغداد؛ لذلك أظهر رضاه عن البيعة. وهو ما يفسر لنا الروايات التي تذهب إلى القول بأن الفضل بن سهل زينّ للمأمون البيعة لعلّي بن موسى الرضا (٢٧) .

أما فيما يتعلق بأهل بغداد فقد تلقى أغلبهم إعلان البيعة بالسخط والانتكار، وكان بنو العباس أشدهم في ذلك نكراً ، واتهموا الفضل بن سهل بحمل المأمون على اتخاذ القرار، ونعتوا الفضل بالمجوسي ابن المجوسي ، وقالوا فيه إنه يحتال في جعل الملك كسروياً، وأنه زينّ اتخاذ لباس الخضرة ، وهي لباس كسرى والمجوس ، فأدار العباسيون في بغداد الأمر بينهم وأعلنوا خلع المأمون والبيعة لأبرهيم بن المهدي (٢٨) .

أخذت ردود الفعل تبلغ مسامع الفضل بن سهل ، فأسقط في يده ، وصارت تتلاوره المخاوف والشكوك ، وبدأ يلمس خطورة قرار البيعة الذي اتخذته المأمون عليه ، فصار يحاول جاهداً تعمية الأخبار على المأمون ومنع وصولها إليه، وينزل صنوف العذاب بمن يبلغه عنه أنه دخل عند المأمون بهذا الوجه ، وقد اتهم بقتل القائد المشهور هرثمة بن أعين الذي قيل إنه

٢٧ - أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٥٥ . ابن بابويه القمي / عيون

أخبار الرضا ص ١٧٥ مخطوط . ابن الأثير / الكامل في التاريخ ج ٥ ص ١٨٢ .

ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٨ .

٢٨ - انظر من أجل ذلك : الجهشيارى / الوزراء والكتاب ص ٢١٢ - ٢١٣ .

أبو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٥٥ .

جاء من بغداد الى المأمون في مرو ليطلمه على حقيقة ما يجري من الشكوى ضد الفضل بن سهل واعوانه ، وما يخوض الناس فيه، وليردّه السسى بغداد . (٢٩) كما اخذ الفضل يتغيّر لعلي بن موسى ويقيم عليه المراسد للوقوف على اخباره (٣٠) .

اما فيما يتعلق بعليّ بن موسى فان الاخبار تشير الى أنه كان قد اوجس خيفة من مراودة المأمون اياه على البيعة له، وأنه اقتيد الى ذلك اقتيادا، فيذكر القمي أنه لما اراد المأمون علي بن موسى على البيعة اعتلّ علي بعزل كثيرة (٣١)، ويقول ابن العمراني إن علي بن موسى قال للمأمون: يا أمير المؤمنين: إن هذا الأمر لا يتمّ، فاعفني، فلم يُعفِه (٣٢) . وكان علي ابن موسى يشعر بالضيق خلال وجوده في مرو مع المأمون والفضل بن سهل، وتنتابه حالة من الشك والقلق، وتستبد به الظنون، وكثُر ما نسب اليه سؤال المأمون بالرجوع الى بغداد تخلّصا مما يجري (٣٣) .

اما المأمون فقد ظل يرقب ردود الفعل، وينظر درجة التطورات التي وصلت اليها ؛ فلما اطمان الى رغبة القادة الملحة من حوله في العودة الى بغداد ، وضعف مركز الفضل بن سهل واعوانه ، الى حدّ وضعه في قفص الاتهام وتجريمه ، ونظرة أهل بغداد الى اقامة الخليفة بينهم نظرة المتمني، وبرمهم بالفوضى التي عموا بها ، وخوف بني العباس من انتقال الملك عنهم خوفا انساهم قتل الأمين ، أعلن الرحيل من مرو خراسان صوب بغداد .

٢٩ - ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٤٢ - ٥٤٣ .

ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٩ - ٢٠٠ .

٣٠ - ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٩ . ومواقع متفرقة - مخطوط .

٣١ - ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٧٦ . مخطوط .

٣٢ - ابن العمراني / الانباء في تاريخ الخلفاء ص ٩٨ .

٣٣ - مسكويه / تجارب الامم ص ٤٤١ ، ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٨٢

مخطوط . ابو جعفر الطبري / تاريخ الرسل والملوك ج ٨ ص ٥٦٤ .

تتقدم الفضل بن سهل الى المأمون ينصحه بالعدول عن الرحيل ،
ويعرض عليه موانع ذلك ، ويذكره بقتل أخيه الأمين ومعاداة أهل العراق له ،
والبيعة لعلي بن موسى ، وازالة الخلافة عن بني أبيه بني العباس وتغيير
قلوبهم له ؛ ولكن المأمون أعرض جانباً عن نصائح وزيره ، وطلب اليه أن
يستعد للرحيل معه الى بغداد ، فلما رأى الفضل بن سهل أن المأمون جاد في
الأمر ، اعتذر الفضل الى المأمون عن المسير معه وقال :

« يا أمير المؤمنين ، إن ذنبي عظيم عند أهل بيتك وعند العامة ، والناس
يلومونني بقتل أخيك المخلوع وبيعة الرضا ، ولا آمن السعاة والحساد وأهل
البغي أن يسمعوا بي ، فدعني اخلفك بخراسان » ، فلم يوافق المأمون ، وأعلمه
عدم استغنائيه عنه وليس من هناك الا الثقة المأمون الناصح (٣٤) .

ويبدو أن ليس أدل على مدى التوفيق الذي بلغه المأمون في البيعة
لعلي بن موسى من هذا الحال الذي صار اليه الفضل بن سهل من ضعف
الحول وقلة الحيلة ، فلما بلغ المأمون ببعض الطريق ، قيل في سرخس ،
قتل الفضل بن سهل ، فاتهم المأمون بقتله ، (٣٥) وقيل ان القتل قالوا للمأمون
عند مثولهم بين يديه : أنت امرتنا بقتله (٣٦) .

ولما بلغ المأمون مدينة طوس ، مات علي بن موسى ، قيل في أكثره
من أكل العنب (٣٧) وقيل في السم (٣٨) وقيل اعتل أسابيع ومات (٣٩) .

٣٤ — ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ١٨٤ مخطوط .

٣٥ — المصدر نفسه ص ١٨٤ .

٣٦ — ابن الطقطقي / الفخري ص ١٩٣ .

٣٧ — المسعودي / المروج ج ٤ ص ٢٨ .

٣٨ — اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٥٢ .

الإصفهاني / مقاتل الطالبين ص ٥٦٦ — ٥٦٧ .

ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٢٢٠ مخطوط .

٣٩ — اليعقوبي / تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٤٥٢ .

ابن بابويه القمي / عيون اخبار الرضا ص ٢٢٠ مخطوط .

وتقدم المأمون نحو بغداد يزفّ نفسه اليها، بلا الفضل بن سهل، وبلا
علي بن موسى ، ففتحت بغداد ذراعيها له، وكان لسان حالها :

جعل الله قدومك يا أمير المؤمنين ، مفتاح رحمة لك ، ولن قدمت عليه
من رعيته ؛ فقد اشرفت البلاد حين حلت بها ، وآنس الله بقربك أهلها ،
ونصبت الرعية اليك أعينها ، ومدت الى الله فيك ولك أيديها ، لتصيب
من مقدمك عدلا يحييها ، ومن نيل يدك فضلا يغنيها . (٤٠)

ومكث المأمون أياما ببغداد، قتل ثمانية وهو يلبس لباس الخضر، ولم
يكن أحد يجتري أن يلبس شيئا من لباس السواد ؛ فلما رأى طاعة الناس
له، طرح لباس الخضر وأمر بلباس السواد، وعمّ الناس بعفوه
واحسانه (٤١)، ولم يعد الى تعيين ولي عهد علوي آخر .

وهكذا نرى تعيين علي بن موسى خليفة من بعد المأمون كان خطة
ذكية، وعملا جريئا لتخليص الدولة من حمى الاتجاهات والأغراض السياسية
المتضاربة، وانقاذ الموقف السياسي المضطرب، ولم يكن عملا جادا لنقل
الخلافة عن بني العباس الى آل علي .

الدكتور محمد ضيف الله البطاينة

٤٠ - ابن طيفور / تاريخ بغداد ص ١٠ ، ١٢ . طبعة ١٩٤٩ م ، نشر عزت المطار الحسيني ،

٤١ و ٤٠ - ابن طيفور / تاريخ بغداد ص ١٠ ، ١٢ . طبعة ١٩٤٩ م ، نشر عزت المطار

الحسيني ،